كفاف الانسان من الارض

من اوضاع الكونت تلستوي الفيلسوف الروسي الشهير

اخوان اقترنت كبراهما بتاجر في احدى المدن والصغرى بفلاح مقيم في اطيانهِ . وذات يوم زارت الكبرى اختها الصغرى وجعلت تقابل بين عيشة المدن وعيشة الارياف وتفضل الاولى على الثانية ومما قالتهُ ان بيتها فاخر الرياش وثيابها وثياب اولادها نظيفة دائماً وعلى آخر زي وهم يجدون في المدينة كل ما يشتهون من انواع الطعام . واسبابُ التسلية وافرة لهم بين الملاعب والحدائق . فاغتاظت الصغرى من هذا التعريض وقالت لاختها اخطأتِ وانا لا ابدل بيتي ببيتكِ ولا عيشتي بعيشتكِ . نعم ليس عندنا اماكن للهو كالملاعب والمشاهد ولكننا آمنون صروف الدهر لا مثل التجار الذين ينتعون اليوم و يفتقرون غداً . ولا ننتظر ان نغتني ولكننا واثقون اننا نجد في اطياننا دائماً ما نأكل وما يشرب

فقالت الكبرى نعم تجدون طعامكم وشرابكم كالماشي ومعها جدُّ زوجك واجتهد فانتِ لا تجدين الى الراحة سبيلاً بل تعيشين في الفاقة والتعب طول عمركِ ولا يكون اولادك احسن منكِ

وكان زوج الصغرى واسمهُ باخوم جالساً يسمع ما دار بين الاختين من الحديث فقال في نفسهِ لقد اصابت زوجتي ولو كانت اطياني واسعة كما اشتهي لقورت عيني ابليس ولم احسد احداً على عيشتهِ

وكان ابليس مختفياً وراء الموقد فسرَّ بكلام باخوم وقال في نفسهِ اني ساعطيهِ كل ما يريد من الاطيان وترى كم يتور عيني الآخر

ومرَّت الايام و باخوم يقتصد في نفقاتهِ فاشترى بعض المدن المجاورة لاطيانهِ فزاد تعبهُ ولكنهُ لم يتذمَّر . وزارهُ ذات يوم احد الفلاحين واخبرهُ عن اراضٍ واسعة قرب نهر القفقا وهي من اخصب اراضي الدنيا وانها بخس جداً . فقال باخوم دلّه بغيتي وقال بيع اطيانهُ وذهب وشاهد الاطيان المشار اليها فاشترى منها بما معهُ من النقود ولكنهُ وجد ان الارض الصالحة منها لزرع القمح قليلة ومع ذلك واظب على زرعها خمس سنوات وهو يقتصد في نفقاتهِ الى ان اجتمع لهُ الف و بال فعزم ان يشتري اطيان جارهِ وكان جارهُ قد افلس . وبينما هو يفكر في ذلك مرَّ بهِ تاجر واخبرهُ عن بلاد البشكير[1] حيث كان قد اشترى

(١) جيل من الناس يسكنون البلاد الواقعة في سفح جبال اورال بروسيا

خمسة آلاف فدان بالف ريال فقط . فسأل التاجر عن كيفية الوصول الى ذلك . فقال التاجر ليس عليك الاَّ ان تصادق شيخ القبيلة وتهاديهم بقليل من الجبب والبسط والخمر والشاي وانا لم ادفع ثمن الفدان اكثر من عرشين . ثم اخرج عقد البيع واراهُ لباخوم وقال لهُ ان الارض بور كلها ولكنها مرج واسع ينطبع النبات ويخترقهُ نهر كبير . والبشكير اصحاب الارض من اجهل الناس ويمكنك ان تأخذها منهم بلا ثمن

فابرقت اسرَّة باخوم وقال لقد وجدت ضالَّتي وعزم من ساعتهِ ان يقوم و يذهب الى بلاد البشكير و يبتاع منهم كل ما يستطيع ابتياعهُ من الاراضي . ثم سأل التاجر عن الطريق الموصلة الى تلك البلاد واخذ يتأهب للسفر اليها وودَّع زوجتهُ واخذ معهُ واحداً من خدمهِ وسار الى اقرب مدينة واشترى منها جبباً و بسطاً وشاياً وخمراً وسار الاثنان في مركبة اسبوعاً كاملاً قطعا فيهِ نحو ثلثمائة ميل الى ان وصلا الى بلاد البشكير فرأى كل شيء كما وصفهُ لهُ التاجر فان البشكير يسكنون في خيام من الشعر على ضفتي نهر وهم قبائل رُحَّل لا يحرثون ولا يزرعون بل عملهم انتجاع المراعي وتربية الخيل والغنم والبقر يأكلون لحومها ويشربون البانها و يرتدون بجلودها وهم اهل ضيافة وكرم . فلما اقبل عليهم اجتمعوا حولهُ وكانوا يجهلون اللسان الروسي ولكن اتفق وجود ترجمان هناك فجعل يترجم بينهُ وبينهم فاخبرهم بلسان الترجمان انهُ جاء ليشتري منهم بعض اراضيهم . فرحَّبوا بهِ واخذوهُ الى اكبر خيامهم وقدموا لهُ لبناً فشرب ثم ذبحوا لهُ خروفاً ليولموا لهُ

فسُرَّ بذلك وامر خادمهُ ان يأتي بما معهُ من الجبب والبسط والشاي والخمر واهداها الى رؤسائهم . فجلسوا يتشاورون فيما بينهم ثم قالوا للترجمان قل لهُ اننا نحل الضيف على الرحب والسعة ونعرف قيمة الكرم فلا نبخسهُ اكرم منا فاسألهُ عمَّا يريد فلا نبخل عليهِ بهِ

فقال للترجمان قل لهم اني مررت ببلادكم واريد جواركم واحب ان تعطوني جانباً من اراضيكم لان الارض عندنا ضيقة وخدمها قليل وانتم اراضيكم واسعة خصبة

فترجم لهم الترجمان . فقال فجعلوا يتكلمون ويتهامسون وباخرهم لا يفهم شيئاً من كلامهم ولكنهُ استنتج من ضحكهم انهم سروا بكلامهِ . واخيراً قال لهُ الترجمان انهم يسمحون لك ان تمتلك من اراضيهم قدر ما تريد جزاء لكرمك

فقال لهُ اشكرهم عن لساني وقل لهم اني اريد ان اشتري منهم مساحة محدودة بثمن محدود واكتب ذلك في حجة حتى لا ينازعني احد في ملكي

ثم التفت الى شيخ القبيلة وقال لهُ اني شاكر لكم ما اظهرتم من حسن الضيافة والكرم

ولكنني لا اريد ان آخذ من ارضكم شبراً الاَّ بالشراء فهلمَّ نتفق على المقدار الذي تبيعونني اياهُ وعلى ثمنهِ حتى يكون البيع صحيحاً نافذاً عليكم وعلى اولادكم من بعدكم

فبشَّ لهُ الشيخ وقال ليكن لك ما تريد

فقال باخوم بلغني ان تاجراً مرَّ بكم من عهد قريب واشترى منكم جانباً من اراضيكم وكتبتم لهُ حجة في ذلك واود ان تعاملوني كما عاملتموهُ

فقال لهُ الشيخ عمَّت مرادك وعندنا هنا كاتب ماهر نبيعك الارض التي تختارها ونكتب لك حجة بها وترقمها كلها بختومنا

فقال باخوم واريد ان اعرف الثمن الذي تطلبونهُ

فقالوا اننا نطلب ثمناً واحداً وهو الف ريال كل يوم

فلم يفهم مرادهم وقال لهم ماذا تعنون باليوم وكم فدان يساوي

فقالوا لا نعلم ولكننا نبيعك كل الارض التي تستطيع ان تسير حولها في يوم واحد بالف ريال

فقال اني اقدر ان اطوف حول ارض واسعة جدًّا في اليوم

فقالوا لا مانع عندنا والارض التي تطوف حولها كل يوم نعطيك اياها بالف ريال مهما كان اتساعها ولا بدَّ من ان تقوم من نقطة معينة في الصباح وتعود اليها قبل غروب الشمس والاَّ خسرت الثمن

فقال ومن يعين الحدود التي امرُّ فيها

فقالوا يجب ان تعينها انت ويركب معك بعض رجالنا ويدقون اوتاداً فيها حيث تقول لهم . ثم نصل بين هذه الاوتاد بتل فيكون الحد الفاصل للارض التي تختارها . ولك ان تختار الارض التي تريدها والمقدار الذي تريدهُ على شرط ان تطوف حولهُ في يوم واحد وتنتهي حيث ابتدأت قبل غياب الشمس

فسرَّ بذلك وتمَّ الاتفاق على ان ينهض في صباح اليوم التالي ويعمل حسبما قالوا . وتسنَّى تلك الليلة من الخروف الذي ذبحوهُ لهُ ونام على فراش من ريش فرشوهُ لهُ ولكن لم يغمض لهُ جفن من شدة فرحهِ لانهُ حسب انهُ سيقتطع من اراضيهم قطعة تساوي مملكة فان الوقت كان صيفاً والنهار طويلاً وحسب انهُ يقدر ان يمشي ثلاثين ميلاً على اقل تقدير فيقتطع قطعة ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان فيحرث بعضها ويترك الباقي مراعي .

وقبل الفجر ران اكبرى على جفنيهِ فنام وحلم انهُ سمع اناساً يمزحون ويضحكون امام باب الخيمة فنهض وخرج ليرى من هم واذا هو بشيخ القبيلة جالس امام الخيمة يضحك و يداهُ على خاصرتيهِ فقال لهُ ما يضحكك ايها الرجل فانقلب بغتةً وصار مثل التاجر الذي مرَّ بهِ واخبرهُ عن هذه الارض ولم يكد يتم قولهُ جيداً حتى انقلب وصار مثل الفلاح الذي ضافهُ ذات يوم واخبرهُ عن اراضي القوقاز وقبل ان يكملهُ غاب عن بصرهِ وقام مقامهُ ابليس المعين وقرنان في رأسهِ . فنظر اليهِ باخوم فرآهُ اخذ يتبسَّم ثم جعل يضحك فدنا منهُ واذا امامهُ رجل مطروح على الارض ميتاً ووجههُ مثل وجههِ تماماً فاستيقظ حينئذٍ وهو يقول اضغاث احلام. واراد ان يغمض عينيهِ ثانيةً وينام ولكنهُ رأى ان الفجر قد بزغ فنهض وايقظ خادمهُ وامرهُ ان يشد على مركبتهِ و يوقظ رجال القبيلة

ولما اجتمع رجال القبيلة حول شيخهم وجلوا عن باخوم ليفطر معهم فابى قائلاً انهُ حان الوقت للطوفان حول الارض

وسارت الجماعة معاً بعضها على ظهور الخيل و بعضها في مركبات وسار هو في مركبتهِ مع خادمهِ الى ان وصلوا الى السهل قبلما أشرقت الشمس فنزلوا على رأس تلة وتقدم الشيخ من باخوم واشار الى سهل فسيح وقال لهُ كل هذا السهل لنا فاختر منهُ ما تريد

وكان السهل مرجاً واسعاً لا ترى العين آخرهُ وقد غطاهُ الكلأ وعلا حتى اذا مرَّ رجل فيهِ لا يبين . ثم خلع الشيخ قبعتهُ ووضعها على رأس التلة وقال لباخوم قل لخادمك ان يقيم ههنا عند هذه القبعة وسر انت حول الارض التي تريدها مبتدئاً من ههنا ويجب ان تعود وتبلغ هذه القبعة قبل مغيب الشمس وكل الارض التي تدور حولها في بحر النهار هي لك بالف ريال

فاخرج باخوم الدراهم من جيبهِ ووضعها على القبعة وخلع جبتهُ ووضعها الى جانبها وشدَّ منطقتهُ واخذ معهُ بعض الارغفة ودورقاً من الماء والتفت يمنةً ويسرةً ليرى في اي الجهات يسير فحار في امره لان السهل كلهُ على نسق واحد واخيراً اختار ان يسير مشرقاً . ولم تكد الشمس تبزغ فوق الافق حتى اخذ يعدو امام الجماعة ولما قطع نحو ميل وقف فدقوا وتداً في الارض ثم استأنف السير لا سريعاً ولا بطيئاً الى ان حسب انهُ قطع ميلاً آخر فوقف حتى دقوا وتداً آخر . ولم يكد يتم الميل الثالث حتى شعر بالحر فخلع قفطانهُ واستأنف السير والتفت الى الاكمة فرأى شيخ القبيلة واتباعهُ لا يزالون جلوساً عليها يرأى منهُ . وسار ثلاثة اميال اخرى فاشتد الحر جداً والتفت الى الشمس وقال حان الوقت لآكل لقمةً واطعن

التي قطعت ربع المسافة ولا يزال امامي ثلاثة ارباعها فيحسن بي ان اخلع نعليَّ واعد ثلاثة اميال ادور الى الشمال والارض اجود من ان اتركها واراها تزيد جودةً كلما تقدمت . فاستمرَّ في سيره واخيراً التفت الى ورائه فرأى التلة عند الافق والرجال عليها صغار كالنمل فابرقت اسرتهُ وقال لقد قطعت الآن قطعة كبيرة من هذه المروج فصار عليَّ ان ارجع

وجعل العرق يتصبَّب من بدنهِ وشعر بعطش شديد فوضع الدورق على فيهِ وشرب وهو سائر ثم وقف بغتة وقال للرجال الذين معهُ ان يدقوا وتداً ودار الى اليسار . وكان العشب طويلاً والحر شديداً فالتفت الى الشمس واذا هي قد تكبَّدت السماء فشعر بالجوع مع التعب ففتح زودهُ واكل قليلاً وهو واقف ولم يجلس لانهُ خاف ان يجلس فيغلبهُ النعب والنعاس فينام وبعد ان وقف بضع دقائق استأنف السير وكان قد استردَّ بعض قوتهِ بالطعام فسار اولاً بخطىً واسعة ولكن كان الحر قد اشتدَّ جداً حتى صار فوق الاحتمال وكاد التعب والنعاس يتغلبان عليهِ لكنهُ قال في نفسهِ تعب ساعة وراحة العمر فتنشَّط وواظب على السير الى ان قطع اربعة اميال . وعزم حينئذٍ ان يدور نحو التلة لكنهُ رأى مرجةً مبسوطة امامهُ كراحة اليد والنبات فيها على اخصبهِ فقال ما اصلح هذه البقعة لزرع الكتان وهل يليق بي ان اتركها فسار الى ان وصل الى آخرها ودق وتداً هناك ودار قاصداً الوصول الى التلة قبل ان تغيب الشمس لئلاَّ يخسر كل شيء . ونظر الى التلة فرآها على حد الافق وقدَّر انهُ صار على عشرة اميال منها وكان قد قطع ضلعين من اضلاع مربع وعليهِ ان يقطع ضلعين آخرين قبل ان يصل اليها فقال لا بدَّ من تقصيرهما لانني طوَّلت الضلعين الاولين اكثر مما يلزم فينبغي ان اقصر هذين فسار حتى قطع ميلاً وتنفَّس الصعداء والتفت الى التلة فرأى ان لا بد لهُ من ان يسير اليها على خط مستقيم . وكانت رجلاهُ قد تورمتا وقوتهُ خارت من التعب وصار يستحيل عليهِ ان يقف ليستريح لان كل دقيقة تضيع قد تخسرهُ الارض والثمن فجعل يتأوَّه من الم رجليهِ . ثم تذرَّع بالصبر واسرع العدو والدم يقذف من قدميهِ فطرح قبعتهُ وسلَّم والتفت فاذا الاكمة لا تزال بعيدة منهُ فجعل يلعن اللحم وكاد يقطع الامل من الوصول اليها فتشدَّد ريقهُ ولصق لسانهُ بحلقهِ وتبلَّلت ثيابهُ بالعرق ولصقت بجلدهِ وجعل قلبهُ يخفق وخدرت قدماهُ فبطل شعورهُ بهما ونسي الارض وما فيها وصار يخشى ان يقع ميتاً من التعب والاعياء وتصوَّر الموت امامهُ بصورة رهيبة لكنهُ قال في نفسهِ ماذا يقول الناس عني اذا وقفت الآن وابطلت السعي . وكأنهُ سمع رجال البشكير يضحكون عليهِ ويهزأون بهِ فاستجمع ما بقي فيهِ من القوة والرمق وكدَّ نحو الاكمة وكان قد قرب منها وصار

يميز الرجال عليها واذا هم يشيرون اليهِ لكي يسرع ثم رأى القبعة التي لا بدَّ من وصولهِ اليها قبل غروب الشمس فتشدَّدت عزائمهُ وقوي املهُ بالحصول على الارض التي اختطها لنفسهِ ثم خطر على بالهِ الخلم الذي حلمهُ وتمثل لهُ شخصاً الذي رآهُ ميتاً فارتعدت فرائصهُ وقال في نفسهِ ترى هل يودُّ الله في اجلي حتى اتمتَّع بهذه الارض واذا لم يفعل فاكون انا الجاني على نفسي بطمعي . ثم التفت الى الشمس واذا قرصها يكاد يمس الافق فاندفع بكل جهدهِ نحو التلة الى ان بلغها والتفت الى الشمس واذا نصفها تحت الافق وخطر لهُ حينئذٍ انها وان غابت عن اسفل التلة تبقى مشرقة على رأسها فجرَّ نفسهُ وهو يدب على يديهِ ورجليهِ الى ان وصل الى اعلى التلة وحينئذٍ زالت قدمهُ فسقط على وجههِ لكنهُ مدَّ يديهِ بكل ما بقي فيهِ من الرمق الى ان لمس القبعة وهو مرتمٍ على الارض . فهتف لهُ رجال البشكير وهم يقولون احسنت احسنت عفارم عفارم . واسرع اليهِ خادمهُ لينهضهُ واذا بالدم يتدفق من فيهِ وهو جثة هامدة . وجلس رئيس القبيلة امامهُ وهو يقهقه و يفحص الارض برجليهِ ثم نهض وتناول رفشاً وسلمهُ للخادم لكي يحفر لهُ قبراً . وركب هو ورجالهُ خيولهم ومركباتهم وعادوا الى خيامهم . وحفر الخادم قبراً لسيدهِ طولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث وواراهُ فيهِ وهذا كفاف الانسان من الارض

الطب الشرعي

١ — الطب الشرعي — ٢ — الطبيب الكشاف والخبير — ٣ — التقرير الطبي الشرعي — ٤ — الاهمال في تعاطي صناعة الطب والتدجيل — ٥ — السر الطبي — ٦ — فحص الاحياء والاموات — ٧ — عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة — ٨ — صندوق الاسعاف

الطب الشرعي هو بحث في تطبيق العلوم الطبية على الاجراءات القانونية فهو بذلك خاص بالمعلومات التي لها مساس بالقانون من جهة ومن جهة اخرى شامل لكل العلوم الطبية . وقد توسع بعض الاطباء الشرعيين وادمجوا فيهِ كل فن لهُ علاقة بالقانون حتى القوانين الصحية

الطبيب الكشاف والخبير

الطبيب الكشاف هو الذي يطلب منهُ المحقق الكشف عن مصاب او جثة كشفا